العناية بالبيئة رؤية إسلامية معاصرة

حسين علي خضر

جامعة سومر

Hassanali_342@yahoo.com

الخلاصة

لو نظرنا الى البيئة بمدلولها الشامل لوجدناها قد حظيت بقدر كبير من الإهتمام، ولقد أسس الإسلام الإطار العام لقانون حماية البيئة في قوله تعالى: (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرلكم إن كنتم مؤمنين)[١]

فلا شك أنّ سلوك الإنسان الخاطيء وغير الرشيد في استعماله لموارد البيئة قد عرّضها لخطرٍ شديد، وما تُعانيه الكرة الارضية اليوم من مشكلات ومخاطر بيئية والتي هي نتيجة لما اقترفه الإنسان ببيئته من استغلال كبير ومُستنزِف لمواردها، وعلينا الرجوع الى تعاليم الإسلام وضوابطه ، وكذلك ما أنتجه العقل الإنساني السليم من قرارات وتوصيات للتعامل مع البيئة.

إنّ مشكلة البيئة وما تضمّنته من نواحٍ عديدة ومشكلات كثيرة، كانت هي الاكثر تداولاً في العقدين الأخيرين كقضية من اخطر القضايا في العصر الحديث إن لم تكن أخطرها، وإنّ تفاقمها إستوجب من الجميع المشاركة الفاعلة في مواجهة تلك المشكلات.

الكلمات المفتاحية: سلطة التشريع والعقاب، طريقة الإسقاط.

Abstract

If we look at the overall environment, we find her Bmudallolha has received Bakdrazim attention, and I have Islam Alataram the Law of Environmental Protection in the verse mode: (To Atvsdoa on earth after repair Kharlkm That is if you are believers) (1)

Then surely that man wrong behavior and Giralrashid in dealing with environmental resources make them exposed to Khtrushdid, and what the world experienced by today's problems and Mkhatrbaiah which are the product of what rights committed in the right environment to exploit the destructive and exhausted their resources, and we refer to the teachings of Islam and controls, as well as what was produced by the human mind healthy of the decisions and recommendations to deal with the environment.

The issue of the environment, and its contents from the complex and multiple dimensions of the problems, it may put itself in the last two decades as one of the most serious issues in the Alasralhadit that were not the most serious of all, though exacerbated necessitated everyone to participate effectively in the face of these problems.

Keywords: Projection legislation and punishment method of authority.

[١] سورة الاعراف: ٨٥

المقدمة

عندما يفتح الإنسان عينيه على الحياة يبدأ بالتفاعل مع الطبيعة، بهوائها ومائها، أشجارها وأحجارها، إنسانها وحيوانها،ولأنّ الحكمة تقتضي أن لا تُترك هذه العلاقة بدون قانون ينظمها وقواعد ترعاها، فقد أرسى الله سبحانه عبر أنبيائه ورسلِه أسسَ هذه العلاقة وأرسى قواعدها وضوابطها.

ومع تطور الحياة وزيادة تعقيداتها، وشدة التنافس بين أبنائها على استغلال الطبيعة، والاستفادة من مواردها، ومع وصول الإنسان الى ذروة السيطرة على الطبيعة، وأمام الطفرة الصناعية الهائلة، وما أفرزته – بأزاءإيجابياتها– من سلبيات ومساويء على مستوى الطبيعة برمّتِها، أمام كل هذا وذاك، كان لابدّ من أن تنطلق كثير من المؤسسات والجمعيات الحكومية والأهلية لدراسة سلبيات هذا التطورالصناعي في أسبابه ونتائجه، ووضع الحلول التي تحمي البيئة من التلوث، والإنسان من الأمراض، والحيوان من الإنقراض، والمياه من التسمم.

وفي هذا المجال يكون من الضروري بيان موقف الإسلام من هذه القضية الحساسة، لأنّ الإسلام يقدم نفسه شريعة متكاملة تُدلي بدلوها في كل القضايا والمشاكل الإنسانية، وتضع لها الحلول المناسبة،

وما يدعو الى الأسف والأسى، أنّ قلة الأبحاث والدراسات في هذا المجال لاتعود الى انعدام النصوص الدينية التشريعية ذات الصلِة بهذا الموضوع، بل هي متوفرة وموجودة، لكنها بحاجة الى تجميع ولمّ شتات، ومن ثم استظهار واستنطاق، وهذا ما يحتاج الى ملاحظة حثيثة للمصادر الإسلامية من كتابٍ وسنّةٍ، بغية استخراج ما يمكن أن نُسمّيه (النصوص البيئية) – إذا جاز التعبير– المتناثرة في أبواب متفرقة، مما يساعد على تشكيل رؤية بيئية في الفكر الإسلامي،

البيئة في الإسلام ذات حرمة تقيها العبث والتلوث والاستنزاف، تستمدها من النصوص الدينية التي نهت عن الفساد في الأرض والإسراف في التعامل مع الموارد الطبيعية.

إنّ أمن البيئة يستمد قوّته من قواعد الإسلام الأساسية التي دعت الى احترام البيئة والعناية بها، ومن تلك قواعد التحريم والتحليل التي تقتضي من المسلم الإمتثال للأحكام الشرعية التي نهت عن الفساد في الأرض، ولذا دعا الإسلام الى استصلاح البيئة والحفاظ عليها، مُظهِراً خصائصها لتكون محل اهتمام الإنسان ورعايته، وقد شرّع الإسلام الجزاء الدنيوي والأخروي الذي يحمي البيئة من الفساد ويصونها من التدوير والعبث، وعلّقه على الإعتناء بالبيئة ترغيباً وترهيباً.

إنّ مسألة أمن البيئة باتت مسألة من المسائل التي تشغل بال الأفراد والمجتمعات والدول، نظراّ لتمادي الإنسان في إعتداءاته على مصادرالبيئة، وسوء استغلاله لمواردها، وتدميره لمساحات كبيرة من الغابات، وأهداره لكميات هائلة من المياه، وتلويثه نسبة عالية من الهواء.

وقد تصاعدت في السنوات الأخيرة الجهود المبذولة من أجل الحفاظ على عناصر البيئة ومحيطها، وتجاوبت النداءات الداعية الى التعاون على إبقاء البيئة على فطرتها حماية لها من العبث، وتشكلت لجان ومؤسسات تدافع عن البيئة وتذود عنها.

إنّ البيئة في الإسلام تتمتع بالأمن الذي يحافظ على فطرتها ونقائها ووجودها ونموها ويُمكّن من الإنتفاع بها دون إضرار أو إفساد لمظاهرها وخصائصها، قال تعالى: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض...)(١) وقال تعالى: (كلوا واشربوا ولاتسرفوا)(٢)

وبعد تحريم الإسلام للإفساد بكل مظاهره والإسراف بكل أنواعه تأتي قاعدة الأمن البيئي التي ينطلق منها في المحافظة على فطرة البيئة من مظاهر الفساد التي قد تتعاظم وتؤثر في حياة الناس من كسب الإنسان، قال تعالى: (ظهرالفساد في البر والبحربما كسبت أيدي الناس)(٣).

إنّ الأمن البيئي الذي نتاول قضاياه، ليس مفهوماً غريباً على المسلمين أو وافداً اليهم إنمّا هو سلوك حرصوا عليه، إذ أنّ أمر البيئة كان أمراً مهماً بالنسبة للمسلمين الأوائل، وقد تناولت كتب التراث الإسلامي ضرورة الحفاظ على سلامة المُدن من الأخطار، وكل ما يسبب ضرراً أو أذى، والروائح الكريهة والضوضاء والتلوث والنفايات والأدخنة.

إنّ تراثنا الإسلامي يزخر بالأحكام والنظم التي تختص بتنظيم الطرق تنظيماً يوفر لها الأمن، ويمنع عنها الضرر.

وتناولت كتب الفقه كثيراً من الأمور المتعلقة بآداب الطريق وأمنه، فلايجوز فعل ما فيه أذى وإضرار على السالكين في الطرقات، وقد كانت أسواق المسلمين تخضع لنوع من الرقابة حتى يتوافر لها الأمن البيئي، وكان المُحتسِب مسؤول الأمن في الأسواق، والمسؤول عن نظافتها، ومنع الغش والإحتكار فيها(٤)

لقد كان للمُحتسِب أثر كبير في تنظيم الأسواق، حيث يجعل أصحاب الصناعات الواحدة متجاورين أوفي سوق خاص بهم لسهولة مراقبتهم من حيث الجودة والأسعار، ولسهولة معرفة الناس لأماكنهم، وكان المُحتسِب يمنع من دخول كل ما يضر مرتادي الأسواق، ويحمي الناس من أساليب التحايل التي تستهدف أخذ أموال الناس دون وجه حق.

ومن الإجراءات التي حرص عليها رجال الحسبة والفقهاء لتوفير أنواع من الأمن البيئي إزالة الحوائط والمباني الآيلة للسقوط، بعد أن يبدي أمناء البنائين رأيهم، وهذا نوع من الأمن البيئي، لذا حرصت أحاديث الرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) على إرشاد المسلمين لما فيه أمنهم في منازلهم، كما في قوله(صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون)(٥).

وفي حديث آخر قال(صلى الله عليه وآله وسلم): (أطفإوا المصابيح بالليل إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوكوا الأساقي، وخمّروا الطعام والشراب)(٦)

وهكذا يتكامل الأمن البيئي في مفهومه الشامل في تراثنا الإسلامي، بحيث لايقتصر على الأمن من تلوث البيئة المادي كالنفايات والغازات والأدخنة والضجيج، بل يشمل الأمن الخلقي والأمن الفكري والأمن الثقافي.

وقد قسمت البحث على ثلاثة فصول :

الفصل الأول في مفهوم البيئة والأمن البيئي.

والفصل الثاني في كيفية خلق ثقافة بيئية.

والفصل الثالث في التأكيدات الإسلامية لحماية البيئة.

وهذا البحث المتواضع إسهام من الباحث في خلق ثقافة بيئية لحماية البيئة من التلوث والأذى، وبيان رأي الإسلام في ذلك، والله تعالى هو الموفق للصواب.

الفصل الاول

المبحث الأول : مفهوم البيئة

لفظ البيئة، إسم مشتق من الفعل الثلاثي(باءَ)، وهذا الفعل يُستخدم لمعانٍ كثيرةٍ، أشهرها: النزول والإقامة بمكانٍ مُعين، يقال: تبوأ فلان بيتاً أوداراً، أي: اتخذ منزلاً(٧) ومنه قوله تعالى: (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء)(٨)

فالبيئة بهذا المعنى تعني: الموضع الذي تتوافر فيه العوامل المناسبة لمعيشة كائن حي، أومجموعة كائنات حيّة.

البيئة في الإصطلاح العلمي المعاصر: تُعرّف البيئة بأنها: كلّ ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على الصحة، فتشمل المدينة بأكملها، مساكنها، شوارعها، أنهارها، آبارها، شواطئها، كما تشمل كل ما يتناوله الإنسان من طعام وشراب، وما يلبسه من ملابس، بالإضافة الى العوامل الجوية والكيميائية، وغير ذلك.(٩)

وبهذا يتضح أنّ للبيئة مفهومين يُكمّل أحدهما الآخر: أولهما البيئة الحيوية، وهي كل ما يختص بحياة الإنسان وبعلاقته بالمخلوقات الحية التي تعيش معه، أما ثانيهما فهي البيئة الطبيعية، وتشمل موارد المياه، والفضلات والتخلص منها، والحشرات وتربة الأرض، والجو ونقاوته أوتلوثه، وغير ذلك من الخصائص الطبيعية للوسط.(١٠)

وبهذا صار عندنا علم البيئة وهو العلم الذي يختص بدراسة العلاقات والتفاعلات المشتركة التي تحدث بين الكائنات الحية بعضها ببعض، وبينها وبين مختلف ظروف البيئة المحيطة بها.

أوبتعريف آخر: هونمط من العلوم يُعنى بدراسة العلاقة المتبادلة بين الكائنات الحية نفسها، الحيوانية(ومنها الإنسان) والنباتية، بعضها مع بعضها الآخر من جهة، ومن جهة أخرى التأثيرات المتبادلة بين الكائنات الحيّة والعوامل غير الحياتية المرتبطة بالمحيط المادي الذي تحيا فيه هذه الكائنات.(١١)

المفهوم القانوني للبيئة:

الباحث عن تعريف محدد للبيئة يُدرك أنّ الفكر القانوني يعتمد بصفة أساسية على ما يقدمه علماء البيولوجيا والطبيعة للبيئة ومكوناتها، وقد عرّفها القانون رقم ٣٧ لسنة ٢٠٠٨ الذي أقره مجلس النواب العراقي والخاص بوزارة البيئة العراقية بما يلي:

البيئة هي المحيط بجميع عناصره الذي تعيش فيه الكائنات الحية والتأثيرات الناجمة عن نشاطات الإنسان الإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

وأما مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية في استكهولم سنة ١٩٧٢ فقدّم تعريفاً للبيئة بأنها: رصيد الموارد المادية والإجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما،لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته.(١٢)

وإذا نظرنا الى هذه التعريفات السابقة نجد أنها تختلف باختلاف الأنظمة القانونية، لكنها تتفق في الإطارالعام الحاكم للمفهوم.

نبذة تأريخية عن تطورالمفهوم القانوني للبيئة:

إنّ تاريخ المحافظة على البيئة يرجع في أقل التقادير الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد عندما شرّعت اور(ur)/العراق اليوم/ قوانين تضمن عدم اضمحلال الغابات من جراء الاستنزاف الجائر، وبالمثل أقر المجلس الروماني قبل نحو ألفي سنة قانوناً يقضي بحفظ المياه خلال فترات الجفاف.

وغني عن التذكير أنّ جذور المحافظة على البيئة مغروسة بثبات في تعاليم الأديان السماوية الربانية، بل حتى في شعائر الأديان الوثنية كالبوذية والهندوسية، التي ترشد أتباعها الى حسن المحافظة على الطبيعة الأم.(١٣)

ويُعدّ اليوم قانون البيئة أحد فروع القانون الدولي العام الذي يهتم بحماية البيئة، وهو قانون حديث النشأة، إذ أنّ أصوله تعود الى نهاية الستينات من القرن العشرين، وهي المرحلة التي بلغ فيها النمو الإقتصادي مستويات مرتفعة.(١٤)

المبحث الثاني: المشاكل البيئية المعاصرة ومفهوم التلوث

يعيش الإنسان في عالمَين: عالَم فيه النبات والحيوان والماء والهواء، وعالَم النظم الإجتماعية والمنتجات الصناعية التي إبتدعها الإنسان لنفسه خدمة لمصالحه. وإنّ جهل الإنسان بمفهوم البيئة، وقلة عنايته بها، وانتشار الفهم الخاطيء لعلاقته بها أدى الى سوء استخدامه للموارد البيئية، مما أدى الى استنزاف الطاقة البيئية وحدوث الدمار والاتلاف المباشر وغير المباشر، الذي سبب مشكلات كثيرة من أبرزها:

أ- التلوث البيئي ب – التصحر ج – الانقراض والهلاك

د – الاستنزاف والإسراف وهدر الموارد والطاقات.

مفهوم التلوث: التلوث لغة مأخوذ من مادة (لوث)، فيقال: لوّث ثيابه بالطين أي لطخها، ولوّث الماء: كدّره.(١٥)، وأيضاً هو خلط الشيء بما هوخارج عنه.(١٦)

والتلوث بالمفهوم الحديث: هو كل ما يؤثر في كل عناصر البيئة أوبعضها، بما تشمل من إنسان وحيوان ونبات.

وأخطر أنواع التلوث: يتجسد الخطرفي تلوث الماء والهواء والغذاء.

أما الماء فهو العنصر الرئيس لحياة الإنسان واستقراره، قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)(١٥) وقال تعالى: (وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا)(١٧)

المبحث الثالث: الأمن البيئي

وهو اصطلاح شاع استعماله في السنوات الأخيرة، ويُقصَد به حماية البيئة ضد الجرائم التي تُرتكب بحقها، والتي تؤدي الى هلاك الحرث والنسل، أوإتلافهما، ولاشك أنّ الأمن – بجانبيه المادي والمعنوي – هو الهدف الأسمى الذي يسعى الإنسان الى تحقيقه، ويقصد بالأمن لغة: زوال الخوف(١٨)، وقد منّ الله تعالى على قريش بأن آمنهم في قوله تعالى: (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)(١٩)

من هذا المنطلق، فالأمن البيئي يُقصَد به: حصول الإطمئنان على البيئة ومواردها في الحاضر والمستقبل.(٢٠)

ويشعر الإنسان بالأمن إذا كان مطمئناً على صحته، وعلى عمله، وعلى مستقبله، وعلى أسرته، ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف: (من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.(٢١)

وقد كان الأمن البيئي هاجس المجتمعات منذ أيامها الأولى، ودليلنا على ذلك ما ذكره القرآن الكريم في قصة يوسف(ع) مع ملك مصر، وكيف أنّ يوسف وضع له خطة أمنية لمواجهة خطر المجاعة المقبلة، قال تعالى: (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون)(٢٢)

ويلاحظ أنّ الأمن البيئي بمستوياته المختلفة – سواء أكان شارعا أم سوقا أم مدينة– كان أمرا مهما بالنسبة للمسلمين، فقد أولوه رعاية كبيرة، وكان مفهوما شموليا لم يقتصرعلى الأمن مِن اللصوص، والأمن

من التلوث البيئي الناجم عن النفايات والأدخنة والروائح الكريهة، بل امتد ليشمل الجوانب الخلقية مثل الحفاظ على الآداب العامة وأمن الخصوصيات، ولم يقتصر الأمر على مجرد توافر هذا الأمن بل إنّ تعاليم الإسلام ترى ذلك حقا من حقوق البيئة، وما زالت كلمات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) خالدة، منها ما أمر به المسلمين أن يعطوا الطريق حقه، فلمّا سألوه: وما حق الطريق؟ قال: غضّ البصر، وكفّ الأذى، ورد السلام.[٢٣]

فالأمن البيئي إذن مجموعة من السلوكيات الإيجابية التي لاتؤدي الى حدوث تأثيرات سلبية في البيئة يمكن أن تسبب تلوثها أو تخريب بعض مكوناتها، لقد أصبح التلوث البيئي اليوم يشكل حربا حقيقية من دون حمل سلاح.

الفصل الثاني/كيفية تحقيق ثقافة بيئية

إنّ فقدان الوعي والشعور بالمسؤولية تجاه البيئة التي نعيش فيها بممارساتنا اليومية، أوفي رحلاتنا، أونزهتنا في الحدائق، ومن ما نشاهده من مناظر مؤسفة في الحدائق والطرقات ندرك أنّ هناك فجوة أوحلقة مفقودة بين المواطن وبين إدراكه أهمية حماية البيئة والحرص على عدم تلويثها وفقدها لعناصرها الجمالية.

هناك أدوار مهمة يمثل فيها الأفراد والجماعات والجهات الحكومية والأهلية عنصراً أساسياً في مجال الوعي البيئي وإدراك أهمية المحافظة عليها، وهي:

أولا: توعية المجتمع بأهمية البيئة، وعلى كل فرد أن يشعر بمسؤوليته تجاهها، وفي هذه الحالة يمكن للبيئة أن تفي للإنسان وإمداده باحتياجاته اللازمة لاستمرار حياته وحياة الكائنات الأخرى الحية.

إنّ المؤتمرات الدولية التي عُنيت بالبيئة ومشكلاتها أشارت الى أنّ الإنسان بتصرفاته غيرالمسؤولة، وسلوكياته الخاطئة يُعدّ المسؤول الأول عن المشكلات البيئية، وعليه يتوقف حلها عن طريق تفهم مدى خطورتها، والعمل الجاد لنشر الوعي البيئي بين مختلف أفراد المجتمع، على القاعدة النبوية الشريفة: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٢٤]

كذلك قوله تعالى: (إنّ الإنسان لفي خسرالا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)[٢٥]

وتثقيف المجتمع على ضرورة المحافظة على البيئة نوع من التواصي بالحق ، ونوع من تحمل المسؤولية في ذلك.

ثانيا: التنشئة المبكرة : إنّ الوعي البيئي يعني إدراك الإنسان أهمية ما حوله، وهذا لن يحدث ما لم تكن هناك تنشئة مبكرة تبدأ من الأبوين وما يقومان به من تصرفات تجاه البيئة، والشعور بمبدأ الشراكة بين عناصر المكان والإنسان، فخلق بيئة صحية ونظيفة يحتاج الى عمل تكاملي يبدأ من المنزل وينتهي بشعور وإيمان صادق بأهمية الحفاظ على المكان المحيط بالإنسان، وهذا المعنى يرشدنا له سيد المرسلين(ص) حين شبّه لأصحابه تعاون المجتمع على أمر ما بقوم ركبوا في سفينة فلما أخذوا أماكنهم فيها أخرج أحدهم سكينا وصار يثقب المكان الذي يجلس عليه، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم):(إذا أخذوا على يده نجا ونجوا، وإذا تركوه هلك وهلكوا).[٢٦]

وقال عزوجل:(وتعاونوا على البروالتقوىولاتعاونوا على الإثم والعدوان)[٢٧]

والحفاظ على البيئة وصيانتها نوع من البر الذي أمر القرآن بالتعاون عليه، وأنّ إفساد البيئة والإضرار بها نوع من الإثم والعدوان على المجتمع الذي نهى القرآن عن التعاون عليه والإشتراك فيه.

ثالثا : واجب ديني وذوقي : إنّ إلتزام نظافة البيئة واجب شرعي ومطلب وطني، وهي من الأمور التي حرص الدين عليها، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (تنظفوا فإن الإسلام نظيف فلن يدخل الجنة الا نظيف)[٢٨]

وإضافة الى الجانب الديني في الموضوع هناك الجانب الذوقي تجاه الأشياء مادية أوروحية عند الإنسان، حيث إنّ لكل إنسان رؤية وردود فعل حول الجمال كمفهوم، والجمال كإنطباع تجاه الأشياء تترك في نفسه إحساساً بالبهجة والنشوة والدهشة، ولكي يكون لدى الإنسان إحساسا جماليا راقيا يتطلب تربية للذوق الفني والجمالي لدى الإنسان، وهنا يمكن أن نذكر ثلاث طرائق يمكن بواسطتها التوصل الى تكوين أحكام جمالية ناضجة:

١- طريقة الإسقاط أو الحذف التدريجي لكل ما هو قبيح، أي البدء باستبعاد ما هو أكثر قبحا ثم الصعود الى ما هو متوسط القبح، ويظل المتذوق في عملية حذف حتى يستبين له الجمال وحين ذاك يشعر بذبذبات الجمال تسري في أعماق نفسه من خلال تلك العملية العقلية الصاعدة، ولا تلبث هذه الخبرات الجمالية المتراكمة تدريجيا أن تعمل على تولد معنى الجمال لديه، لكن الطفل لايستطيع أن يطبق هذه الطريقة بمفرده الا إذا كان معه من يساعده ويرشده، كما قال الامام علي(عليه السلام) في وصيته لولده الامام الحسن(عليه السلام) : (قلبُ الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته)[٢٩]

٢- طريقة تكرار المثول أمام الموضع، أي تكرار مشاهدة الآثار الجميلة التي خلفها القدماء، فهذه الآثار تكشف عن سمات الروعة والجمال، وهذا من شأنه أن يُحدث أثرا إيجابيا في إحساس الفرد وخياله، فلا يملك الا أن يُسلّم أزاءها بما لها من روعة وجمال وتفرد، وهذا ما أشار اليه الإمام علي(ع) في وصيته لولده الإمام الحسن(ع) قال فيها: (يا بُني إني وإن لم أكن قد عمّرتُ عُمرَ من كان قبلي، فقد نظرتُ في أعمارهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرتُ مع أولهم الى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره، فاستخلصتُ لك من كل أمر جليله وتوخيت لك جميله)[٣٠]

٣- الطريقة المقارنة، هذه الطريقة يُطبق فيها المقارنة بين الآثار الجميلة على ضوء ما لديهم من مواقف جمالية، قهم يلجأون عن طريق المقارنة الى عملية تصنيف منهجي للأعمال الفنية المعروضة.

أكده الدين كثيرا، كما هوفي قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ الله جميل يحب الجمال)[٣١]

إذن تأتي أهمية وجود أهداف للتربية البيئية وحتميتها من منظور إسلامي لتؤكد للجميع أنّ الإسلام دين يؤكد على احترام البيئة وتقديرها، إنطلاقا من أهداف عدة، منها:

١- تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان المسلم عن طريق تزويده بالرؤية الصحيحة عن البيئة ومكوناتها، بما يحقق دوره المطلوب في الأرض كونه خليفة الله فيها.

٢- تنمية وتكوين القيم والاتجاهات والمهارات البيئية الإسلامية لدى المسلم، حتى يستطيع في ضوئها مواجهة مختلف صعابها بإرادة قوية، ومن ثم استغلالها بصورة نافعة بما يحقق أهداف الإسلام.

٣- تنمية قدرة الإنسان المسلم على تقويم إجراءات وبرامج التربية والتعليم المتصلة بالبيئة من أجل تحقيق تربية بيئية أفضل.

٤- فهم الأنظمة الإجتماعية والإقتصادية والطبيعية وعلاقة الإنسان المسلم بالقضايا والتلوث.

الفصل الثالث/التأكيدات الإسلامية لحماية البيئة

إذا تأملنا في البيئة بمدلولها الشامل لوجدناها قد حظيت بقدر كبير من الإهتمام، وقد وضع الإسلام الإطار العام لقانون حماية البيئة في قوله تعالى: (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرلكم إن كنتم مؤمنين)[٣٢]

وقال تعالى: (ولاتعثوا في الأرض مفسدين)[٣٣]

وليس عجيبا أن تحظى البيئة في شريعة الإسلام باهتمام بالغ، فهي ميراث الأجيال، وفيها أودع الله كلّ مقومات الحياة للإنسان، لذلك أرسى الإسلام الأسس والقواعد والمباديء التي تضبط وتقنن علاقة الإنسان ببيئته لتتحقق فيها العلاقة السوية والمتوازنة التي تصون البيئة من ناحية، وتساعدها على أداء دورها المحدد من قبل الخالق العليم في إعالة الحياة من ناحية أخرى.، وقد أصبحت قضية البيئة بمشكلاتها المتعددة بدءا من تلوثها، واستنزاف مواردها، وصولا الى الإخلال بتوازنها، من القضايا المُلحّة في عالمنا المعاصر، وما تواجهه البشرية اليوم من مشكلات وكوارث بيئية إن دلّ على شيء فإنما يدل على غياب الوعي البيئي الإسلامي، وتجاهلنا للبُعد الإسلامي الذي يجب أن يحكم سلوكياتنا وتصرفاتنا تجاه بيئتنا.

إنّ نظرة الإسلام الى البيئة تتمثل في بعض الحقائق الهامّة، ومنها:

١- وضعت الشريعة الإسلامية تصورا شاملا للبيئة شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد والماء والهواء، وجعلت الإنسان مُكرّما على سائر المخلوقات وسخرتها له.

٢- نظر الدين الإسلامي الى البيئة من خلال استخلاف الإنسان في عمارة البيئة والكون، لأنه اعتراف بحق الإنسان في البيئة ومواردها.

٣- تناول الفقه الإسلامي بالتنظيم والتأصيل، عقودا مهمة تتصل باستثمارالأرض مثل: عقد السَلَم والمزارعة والمساقاة وإحياء الأرض الموات، مما يُعدّ دليلاً بيناً على أنّ الإسلام قد أولى عناية لهذه الموارد الطبيعية ليجعل من الأرض جنة الدنيا زراعة وغرسا وعمارة.

٤- أكدت الشريعة في حديثها عن البيئة حقيقة الترابط القوي والفعال بين مكوناتها، فالهواء يحمل الماء، والماء ينزل على الأرض فتحيا ويخرج النبات الذي يتغذى عليه الإنسان والحيوان.

٥- حماية البيئة في الإسلام أمانة ومسؤولية يتطلبها الإيمان، وتقتضيها عقيدة الإستخلاف في الأرض، وإذا كان من ثمرات الإيمان الصادق الإخلاص في العبادة لله، فإنّ من ثمراتها أيضا القيام بالتكاليف الشرعية كما أمر الله تعالى ورعاية البيئة والمحافظة عليها كما خلقها الله رحمة بالمخلوقات.

العناية بالبيئة في القرآن الكريم والسُنّة المطهرة:

إنّ بيئتنا التي أنعم الله تعالى علينا بها ومنحنا إيّاها، يتعيّن علينا أن نسعى لحمايتها والمحافظة عليها لتؤدي دورها كما أراد الله، وقد حذّر عزوجل كلّ من يُسيء اليها أويفسد فيها بالعقاب الشديد، قال تعالى: (كلوا واشربوا من رزق الله ولاتعثوا في الأرض مفسدين)[٣٤]، وقال تعالى: (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)[٣٥]

وقال تعالى: (ظهرالفساد في البروالبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)[٣٦]

فعبارة (ظهر الفساد) تتضمن كل المعاني المادية والمعنوية التي تتنج عن سلوك الإنسان التخريبي في الطبيعة والمجتمع، والتلوث بمعناه الواسع أقرب الى مفهوم الفساد، وقد تقدم لفظ(البر) على (البحر) تأكيدا لحقيقة موضوعية وهي : أنّ نشاط الإنسان التخريبي بدأ في البر أولاً ثم امتد الى البحر.

(بما كسبت أيدي الناس) أي بالذي جمعته أيدي الناس وعملته نتيجة سعيها للكسب الجشع، فالمصانع والمعامل ومحطات الطاقة الذرية ووسائل النقل الجوية والبرية والبحرية، وطرائق استثمار الخيرات في البر والبحر كالزراعة والصيد والتعدين والإنشاء والتعمير كلها وسائل للكسب، وهذه السبل أصبحت مصدراً لتلوث البيئة من الماء والهواء والتراب. (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أفضل كلمة تعبرعن هذه المعاني المختلفة هي(ليذيقهم) فقد عمل الإنسان الأسمدة والمبيدات الكيميائية وذاق التسمم من بعضها، وعمل الأشعة ليستخدمها لصالحه فدفع ثمن ذلك جزءاً من صحته، وعمل وسائط النقل لتريحه في الإنتقال ولكن تشهد الطرقات مئات الكوارث من حوادث السير، ولولا هذا الذي يذوقه الإنسان من بعض ما عملته يداه، لما تنبه الى خطورة ما يُقدِم عليه من تخريب للأنظمة البيئية، فبدأ يدق ناقوس الخطر لحماية البيئة[٣٧]

فالإنسان مستخلف وليس مالكاً حتى يتصرف فيها حسب هواه دون ضوابط، الإنسان وصي على هذه الموارد البيئية لا مالكا لها.

وكون الإنسان مُستَخلفاً على إدارة واستثمار محيطه الذي يعيش فيه، فعليه صيانته والحفاظ عليه من أي تدمير وتخريب. فالبيئة بمواردها الطبيعية لا تُعدّ ملكا خالصا لجيل من الأجيال يتصرف بها كيفما يريد، إنما هي ملك وميراث دائم للبشرية، لايستطيع أي جيل أن يدّعي لنفسه ملك هذا الحق، قال تعالى: (ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين)(٣٨)

وفكرة العمل على ضمان وصيانة وبقاء واستمرار البيئة بالعطاء على الزمن قد طُرحت حديثا من خلال مفهوم (التنمية القابلة للإستمرار أو التنمية المستديمة)، ومفهوم (تقويم الأثر البيئي للمشاريع) الذي يعني ضرورة إجراء تقويم لما قد تحدثه المشاريع للبيئة المحيطة بمنطقة المشروع بما في ذلك الإنسان ذاته، فإذا تبين أنّ لهذا المشروع ضرراً لعناصر البيئة المحيطة بمنطقة المشروع يتم تعديله لتجنب إحداث الضرر، وحتى إلغاء المشروع، كون الحفاظ على موارد البيئة مقدم على المنفعة الإقتصادية.[٣٩]

ومن دلائل إهتمام القرآن الكريم بالبيئة نجد أنّ عدداً من سوره تُسمّى بأسماء للحيوانات والحشرات، وبعض النباتات والمعادن، وبعض الظواهر الطبيعية.

فنجد من أسماء السور: سورة البقرة والأنعام والفيل والعاديات وهي الخيل، وكلها من الحيوانات. ونجد سورة النحل والنمل و العنكبوت وكلها من الحشرات.

ونجد في القرآن سورة التين وهو من النباتات، وسورة الحديد وهو من المعادن.

ونجد سورة الرعد وهو من الظواهر الطبيعية، وسورة الذاريات وهي الرياح التي تذرو الأشياء، وسورة النجم، والفجر، والليل، والشمس، والعصر، وكلها ظواهر طبيعية.

ونجد سورة الطور، وهو يعني الجبل مطلقا أوجبلاً مُعيّنا، وسورة البلد، وسورة الأحقاف وهي في الجزيرة العربية، وسورة الكهف، وكلها أماكن.

فهذه التسميات للسور القرآنية لها دلالاتها وإيحاؤها في نفس الإنسان المسلم، وربطه بالبيئة من حوله بحيث لايكون في عزلة أوغفلة عنها.[٤٠]

وقد بلغت الآيات القرآنية التي تحدثت عن البيئة وعلاقتها بالإنسانية(٧٦٤) آية، وهو رقم كبير يدل على مدى عناية القرآن الكريم بالبيئة.[٤١]

أمّا السُنّة المطهرة فقد اهتمت بالبيئة وعناصرها، فقد وردت الكثير من الأحاديث الشريفة التي تُلفت نظر المسلم الى الإهتمام بأمر البيئة كغرس الأشجار والزرع وحمايتها، وعدم قطعها لغير مصلحة عامة، وقد ربط الغرس والزرع بالأجر من الله ، وجعلها صدقة جارية منها:

قوله(صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من مسلم يغرس غرسا أويزرع زرعا فيأكل الطير منه، أوإنساناً أو بهيمة الإ كان له به صدقة)[٤٢]

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها الإ سأله الله عزوجل عنها يوم القيامة)[٤٣]

وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لايقوم حتى يغرسها فليغرسها)[٤٤]

وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): (الطهر شطر الإيمان)[٤٥]، فنظافة الثوب والبدن والمكان من علامات الإيمان.

كذلك نهى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يُبال في الماء الراكد، بقوله: (لايبولنّ أحدكم في الماء الدائم الذي لايجري ثم يغتسل فيه)[٤٦]

وجعل(صلى الله عليه وآله وسلم) إماطة الأذى عن الطريق صدقة، فعنه: (من أماط أذى من طريق المسلمين كتب الله له حسنة، ومن تُقبلت منه حسنة دخل الجنة)[٤٧]

إذن نشرالإسلام ثقافة الحفاظ على البيئة من خلال تنمية المعارف والقيم والإتجاهات لدى جميع الأفراد تجاه البيئة ومكوناتها وعناصرها، وخلق الوعي والإحساس بالمسؤولية لديهم بحتمية المحافظة عليها وعدم استنزافها أوإساءة التعامل معها.

سلامة البيئة في التراث الإسلامي

يزخر التراث الإسلامي بمؤلفات عديدة حول البيئة وسلامتها من جوانب مختلفة، فعلى سبيل المثال ألف الكندي[٤٨] (رسالة في الأبخرة المُصلِحة للجوّ من الأوباء)، و(رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية).

وتكلم ابن سينا(٤٩) بالتفصيل في كتابه(القانون) عن تلوث المياه بشكل عام وكيفية معالجة هذا التلوث لتصبح المياه صالحة للإستعمال، وقد وضع شروطاً تتعلق بطبيعة الماء والهواء المؤثرين في المكان عند اختيار موقع للسكنى.

أمّا الرازي[٥٠] فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضد الدولة البويهي في إختيار موقع لمستشفى ببغداد، فاختار الناحية التي لم يفسد فيها اللحم بسرعة، وكانت المستشفيات بصورة عامة تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال.

وتحدث أبومروان الأندلسي[٥١] في كتابه(التيسير في المداواة والتدبير) عن فساد الهواء الذي يهب من المستنقعات والبرك ذات الماء الراكد.

وجاء في كتاب(بستان الأطباء وروضة الألباء) لإبن مطران الدمشقي[٥٢] مايؤكد ضرورة مراعاة البيئة عند تشخيص المرض، فقال: ينبغي للطبيب إذا أقدم على مداواة قوم في بلد أن ينظر في وضع المدينة، ومزاج الهواء المحيط بها، والمياه الجارية فيها، والتدبيرالخاص الذي يستعمله قوم دون قوم، إنّ هذه هي الأصول، ثم بعدها النظر في سائر الشرائط.[٥٣]طبعاً هذه رؤية متقدمة في علم الطب البيئي.

وكتب إبن قيم الجوزية[٥٤] في كتابه الطب النبوي فصلا عن الأوبئة التي تنتشر بسبب تلوث الهواء والإحتراز منها، وقد لخص ذلك الفصل بقوله :(والمقصود: أنّ فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون، وأنّ فساد جوهر الهواء هوالموجب لحدوث الوباء، وفساده يكون لاستحالة جوهره الى الرداءة لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه، كالعفونة والنتن والسميّة، في أي وقت كان من أوقات السنة، وإن

كان أكثرحدوثه في أواخر فصل الصيف، ولاسيما إذا صادفت البدن مستعداً قابلا، رهلا، قليل الحركة، كثير المواد، فهذا لايكاد يفلت من العطب)[٥٥]

وقد تناول علماء الحضارة الإسلامية المشكلات البيئية في أجزاء أوفصول من مؤلفاتهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، حيث نجد بعض علماء المسلمين من رأى ضرورة معالجة الموضوع في كتاب مستقل ليؤكد أهميته في حياة الناس على مرّ العصور، فقد صنّف محمد بن أحمد التميمي[٥٦] في القرن الرابع الهجري(العاشر ميلادي) كتابا كاملا عن التلوث البيئي وأسبابه وآثاره وطرق الوقاية منه، وفصّل الحديث فيه عن ثلاثية الهواء والماء والتربة، وتبادل التلوث بين عناصرها، وجعل عنوانه:(مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء)، وأوضح في مقدمته الغرض من تأليفه بقوله: (وكان الباعث لي على تأليف هذا الكتاب والعناية بهذا الأمر،أني نظرت في أحوال علماءالأطباءالساكنين بالأمصارالفاسدة الأهوية والبلدان المشهورة بالأوبئة، الكثيرة الأمراض ، التي يحدث بها عند انقلابات فصول السنة الأمراض القاتلة والطواعين المهلكة لأجل فساد أهويتها بمجاورة الأنهار الكثيرة المدود، والمدائن التي تحدق بها الغدران، ومناقع المياه الآجنة، والمشارب الكدرة، التي تتصاعد أبخرتها الى الجو فتفسده وتغلظه، مع ما يعضد ذلك من أبخرة الزبول ومجاري مياه الحمامات بها، وأبخرة الجيف من الحيوانات الميتة الملقاة في أفنيتها وظواهرها وعلى ممر سالك طرقاتها، فكان الأولى بالذين يتولون علاج ملوكها، وعامة أهلها، أن تكون عنايتهم بمداواة الهواء الفاسد،المحدث لوقوع الأوبئة بها، الجالب الطواعين على سكانها، أولى وأوجب من عنايتهم بمداواة ما يتحصل بذلك من الأمراض المخوفة في أجساد أهلها.)[٥٧]

وفي الجملة يمكن القول: إنّ التراث الإسلامي سبق وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، وكلمّا دققنا النظرفي نصوص الشريعة الإسلامية وصفحات التراث الإسلامي وجدنا منهجا إسلاميا حكيما ينهى عن التلوث والفساد بكل صوره وأشكاله، ويعول قبل كل شيء على رقابة الضميرالذي يحترم القانون الإلهي لخير الناس جميعاً.

أنواع الحماية من منظورإسلامي:

في الرؤية الإسلامية هناك نوعان من الحماية: حماية دائمة، وحماية فصلية.

أ- الحماية الدائمة: وهي تشمل منطقة الحرام المكي والحرم المدني، قال تعالى: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)(٥٨)

وقال أيضا: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً)(٥٩)

فمكة المكرمة منطقة أمان فريد من نوعه شمل الطير في الجو والصيد في البر، والنبات في الأرض، فهذه المنطقة لايصاد صيدها، ولايروّع طيرها ولاحيوانها، ولايقطع شجرها.

أمّا الحرم المدني فقد وردت حرمته في السنة الشريفة، حيث روى الامام علي(عليه السلام) أنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (المدينة حرم مابين ثورالى عير)[٦٠]

ب- الحماية الفصلية: وهي حماية مؤقتة، مرتبطة بزمان الإحرام لمن أراد الحج أوالعمرة، قال تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس الشهرالحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض)(٦١)

إنّ أرض الحج هي البلد الحرام وزمن الحج يقع في شهري ذي القعدة وذي الحجة، والله جعل الأشهرالحرم لتكون منطقة زمنية آمنة، أمّا الكعبة فهي آمنة مكانا، والمسلم حين يحرم بالحج أوالعمرة يظل

مدة إحرامه في سلام حقيقي مع مَن حوله، وما حوله، فلايجوز أن يقطع نباتا أوشَجراً، كما لايجوز له أن يذبح حيواناً صاده له غيره قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حُرم)(٦٢)، وقال أيضا: (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما)(٦٣)

إنّ هذا التحريم بنوعيه الدائم أوالفصلي يؤدي الى تربية الإنسان عمليا، وذلك للتعامل مع معطيات البيئة بكل مكوناتها من أرض وحيوان ونبات، ويوجد الأساس العملي لفكرة المحميات الطبيعية، حتى إذا انطلق المسلم بعد ذلك في البيئات أيا كانت، يكون محافظا عليها، سليم التعامل معها ومع طيرها ونباتها وحيوانها.

وحين نحاول أن نستأنس بالموقف التشريعي الإسلامي من مسألة البيئة نجد أنّ الإعتناء بها وعدم تلويثها، من أساسيات السلوك الإجتماعي للإنسان المسلم، ففي حديث عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه نهى أن يتغوط على شفير بئرماء يُستعذب منها، أو نهر يستعذب، أوتحت شجرة فبها ثمرتها[٦٤] فهذا الحديث يؤكد على ضرورة عدم تلويث الأنهاروالعيون، والمكان الذي يحيط بالشجرة المثمرة. وسأل رجل الإمام علي بن الحسين(عليه السلام): أين يتوضأ الغرباء؟ قال: يتقي شطوط الأنهار، والطرق النافذة، وتحت الأشجارالمثمرة.[٦٥]

مباديء إسلامية في الحفاظ على سلامة البيئة:

١- حفظ البيئة من التلف:من المنهي عنه نهيا شديدا في التعاليم الإسلامية الإتلاف للبيئة، الإتلاف الذي يفضي الى عجز البيئة عن التعويض الذاتي لما يقع إتلافه، فيؤول الى الإنقراض والإتلاف في استخدام مواردها ولو كان ذلك الإتلاف استهلاكا في منفعة.

وإنما طلبت الشريعة الإسلامية صيانة البيئة من هذا النوع من التلف لما يفضي اليه من خلل بيئي يعطل كفاءة البيئة عن أداء مهمتها في إعالة الحياة، إذ كل شيء قدر تقديرا في سبيل تحقيق تلك الإعالة، ومن النصوص الناهية عن إتلاف البيئة قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) في النهي عن إتلاف الحيوان: (دخلت إمرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)[٦٦] ، وكذلك الأمر بالنسبة لإتلاف النبات فقد قال(صلى الله عليه وآله وسلم): (من قطع سدرة صوّب الله رأسه في النار)[٦٧]

٢- الحفاظ على البيئة من التلوث:لايكون الفساد في الإرض بإهلاك عناصرالبيئة الطبيعية إهلاكا عبثيا أوإهلاكا قارضا فحسب، وإنمّا يكون الفساد أيضا بتلويث البيئة بما يُقذف فيها من عناصر مسمومة، أوبما يُغيّر من النِسب الكمية أوالكيفية لمكونات البيئة التي قُدّرت عليها في أصل خلقتها، فيتحول أداؤها البيئي من نفع للحياة ولحياة الإنسان خاصة الى إضرار بهما، وقد وجدت البيئة أصلا من أجل إعمار الحياة.

ومن بين الأحكام المتعلقة بصيانة البيئة من التلوث ما جاء من تشريع يوجب على الإنسان الطهارة في حياته كلها، ابتداءً من طهارة الجسم الى طهارة الثوب والآنية والمنزل، وانتهاءا بطهارة الشارع والحي والأماكن العامة.[٦٨]

وقد ارتقت الأوامر الشرعية في هذا الشأن الى أن أصبحت تمثل مبدأ أساسيا من مباديء السلوك، بل إنها ارتبطت بمفهوم العبادة إرتباطا أصبح معه التطهير بمفهومه العام جزءا من عبادة الله، وناهيك عن ذلك أنّ الصلاة وهي رأس العبادات تتوقف صحتها على تحقق الطهارة في الجسم والثوب والمكان، وقد قال تعالى في التطهير بمعنى عام: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)(٦٩)

ومن هذه الأحكام ذات الدلالة في صيانة البيئة من التلوث ما جاء في تشريع يوجب التطهير للأماكن الخاصة والعامة، وصيانتها من كل ما عسى أن يلوثها من مختلف الملوثات، فقد ورد عنه(صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتدِ لبوله)[٧٠]، وذلك على معنى أن يتخيّر لتصريف بوله موقعا تُمحى فيه

آثاره بسرعة، فلا يكون له تلويث يضر بما حوله، وفي هذا السياق ورد أيضا قوله(صلى الله عليه وآله وسلم): (لايبولنّ أحدُكم في الماء الدائم الذي لايجري ثم يغتسل فيه)[٧١]، وذلك لما يتسبب من تلوث المياه وعفونتها.

٣- حفظ البيئة من فرط الإستهلاك:إنّ الإستهلاك الزائد يضربالبيئة وأهلها، فأنت لاتعيش وحدك في هذا العالم، بل يعيش الآخرون معك، ولذلك عليك أن تفكر بالآخرين وتترك لهم مجالا للعيش على سطح هذا الكوكب، ولذا نهت النصوص الشرعية عن الإسراف والتبذير وهو الإنفاق في غيرحق، سواءً في الماء أوالشجر أوسائر موارد البيئة، وأوصت بالإقتصاد والتوسّط بين الإسراف والبخل، لاسيما فيما (كلوا واشربوا ولاتسرفوا)[٧٢] هو محدود الكمية غير قابل للتكاثر، قال تعالى: في آية أخرى: (إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)(٧٣)

وسائل إسلامية معاصرة لرعاية البيئة:

للإسلام وسائل عدة لحماية البيئة وتنميتها وتحسينها، وعلاج مشكلاتها التي أمسى العالم يشكو من آثارها، وهذه الوسائل كلها تتعلق بدور الإنسان في البيئة، لأنّ المشكلة تنبع من صلة الإنسان بها، ونظرته اليها، وتصرفه فيها، وتعامله معها.

فإذا أصلحنا الإنسان فقد صلحت الحياة كلها من حوله، وصلاح الإنسان إنما يتم من داخله لا من خارجه، ومن نفسه التي بين جنبيه لامن غلافه البدني، وهذه سنة ثابتة قررها القرآن الكريم حين قال: (إنّ الله لايغيرما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[٧٤]

وهذه الوسائل تتمثل فيما يلي:

١- تعليم الناشئة وتربيتهم، وهذه أولى الوسائل، لاسيّما للناشئة في الحضانات والمدارس، بمستوياتها المختلفة حتى الجامعة. فمن الواجب غرس فكرة العناية بالبيئة والمحافظة عليها، والتعامل معها بالإحسان الذي أمرالله به، وبالرفق الذي يحبه الله في الأمركله، فعن نبيا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ما وُضِع الرفقُ على شيء الاّ زانه، ولا نُزع من شيء الاّشانه)[٧٥]، وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): (من أعطي حظّه من الرفق أعطي حظّه من كل خير)[٧٦].

وعلى الإعتدال الذي يجعل الإنسان ينتفع بخيرات البيئة بلا شح ولاإسراف، وينفع عباداالله معه، قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)[٧٧]

ومن اللازم هنا أن يدخل جزء من علم البيئة وضرورة رعايتها في المناهج والكتب الدراسية بالقدر اللازم.

٢- التوعية والتثقيف للكبار:عن طريق المؤسسات الثقافية التي تعمل على الرقي بفكر الأمة، وتّسَمو بأذواقها واتجاهاتها العقلية والنفسية، وتصحح مفاهيمها الخاطئة، وتقويم أفكارها المنحرفة، متعاونة مع أجهزة الإعلام الواعي الهادف، فالثقافة هي التي تغير الأفكار والأذواق والميول. ولابد للإعلام الديني أن يقوم بمهمته في التوعية والتوجيه عن طريق خطب الجمعة والمحاضرات الدينية.

٣- رقابة الرأي العام:

والوسيلة الثالثة هي رقابة الرأي العام، الذي يُمثل(الضمير الجماعي) بمقتضى فريضة الأمر بالمعروف، كما قال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)[٧٨]

ولاريب أنّ إصلاح البيئة ورعايتها من المعروف، وأنّ إفسادها وتلويثها والإعتداء عليها من المنكر، ومعنى هذا: أنّ كل مسلم مسؤول مسؤولية تضامنية عن سلامة البيئة وصلاحها، وإذا رأى من يجور عليها بتلويث أوإتلاف أوإفساد، وجب عليه أن ينهاه عن ذلك، وبهذا يُحاصَر المنكر والفساد حصاراً أدبيا، ويدخل في هذا المجال إنشاء الجمعيات الأهلية للمحافظة على البيئة، وهذا من التعاون على البر والتقوى، وهذه الجمعيات هي البديل الشعبي عن دورالمحتسب في عصورالحضارة الإسلامية.(٧٩)

وقد كان(المُحتسِبون) قديما يقومون بهذا الواجب الإجتماعي، وكانوا يفرضون رقابة قوية – بسلطان الشرع – على أفراد المجتمع ومؤسساته المتنوعة، بما لديهم من كفاءة وأعوان، وسلطة فيها طرف من هيئة القضاء، وطرف من قوة الشرطة، وقدرتهم على التنفيذ.(٨٠)

٤– سلطة التشريع والعقاب:وهي الوسيلة الرابعة التي تُلزم وتعاقب من لايلتزم، عن طريق الدولة، والى ذلك أشارالقرآن الكريم: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)(٨١)، فمن لم يصلحه الكتاب والميزان أصلحه الحديد ذوالبأس الشديد.

فمن يتجاوز الحدود لابد من تدخل الحكومة للمحافظة على البيئة وعقاب من يخالف ذلك ويعتدي على البيئة.

وعندنا من عمومات النصوص، ومن القواعد الفهية ما يعيننا على إنشاء قانون البيئة وفق هذه القواعد الشرعية:

قاعدة لاضرر ولاضرار في الإسلام، وهي من أشهر القواعد الفقهية التي يُستَدل بها في جُلّ أبواب الفقه من العبادات والمعاملات، ولهذا أفردها العلماء بالبحث والتحقيق(٨٢)، وفيها قال السيد الخميني: إنّ هذه القاعدة لم يذكرها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على أنها قاعدة من القواعد الإلهية، وإنما ذلك حكم صادر عنه(ص) بما هو رئيس للحكومة الإسلامية، فالقاعدة حكم سلطاني وحكومي، لمنع إضرار الناس بعضهم ببعض.(٨٣)

قاعدة درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة، وهي من القواعد الفقهية المهمة، ومعنى هذه القاعدة: أنّ المفاسد متى ما كانت أكبرمن المصالح فإنّ الواجب دفعها قدر الإمكان، ولاينظر في تحقيق المصلحة لكونها مغمورة في المفسدة.(٨٤)

وكذلك قاعدة ما لايتم الواجب الا به فهو واجب.(٨٥)

وكذلك قاعدة أخف الضررين، فيرتكب أخفهما لدفع أعظمهما، وهذه القاعدة لاخلاف في صحتها عند جميع الفقهاء، وهي منسجمة مع روح التشريع الإسلامي والعقل السليم.(٨٦)

والقاعدة الأخرى قاعدة الضرورات تبيح المحظورات.(٨٧)

فنستنتج من هذه القواعد الفقهية أنّ الحكومة عليها إيقاف المشاريع المضرة بالبيئة، وإن كان فيها بعض النفع لأنّ العبرة بالأغلب، فما كان إثمه أكبر من نفعه فهو محرم.

٥– التعاون مع المؤسسات الإقليمية والعالمية:

وهذه الوسيلة تعني التعاون مع الجماعات والمؤسسات الأهلية والرسمية الإقليمية والدولية، للحفاظ على البيئة، ومقاومة كل ما يهددها من الإستنزاف والتلوث والإفساد، والإخلال بالتوزان الطبيعي والكوني.

وقد خاطب الله عز وجل الناس جميعا بقوله: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا)(٨٨)

وشيطاننا اليوم يتمثل في الذين يفسدون البيئة، ويخربونها بقصد وبغير قصد، فهم أعداء الإنسانية جميعا.

هذه هي أهم الوسائل التي يتخذها الإسلام للمحافظة على البيئة وصلاحها، وهو يرحب بكل وسيلة يبتكرها الإنسان في هذا المجال، إذا لم يكن فيها ما يخالف قيم الإسلام وشرائعه، فالحكمة ضالة المؤمن إن وجدها فهوأحق الناس بها(٨٩)

الخاتمة والنتائج

إنّ من الامور التي لاتحتاج الى جدال وخلاف هو المحافظة على البيئة ورعايتها وتعد واجب ديني تفرضه تعاليم الإسلام الذي يحث على النظافة وحماية البيئة والإهتمام بها، وتنهى عن الفساد في الأرض، وأنّ حماية البيئة والمحافظة عليها هو واجب إجتماعي، يجب أن نحث من أجله جميع الجهود من مؤسسات وأفراد على حد سواء.

وأما أهم النتائج التي توصل لها البحث فهي:

١- البيئة نعمة إلهية كبرى، وعلى الإنسان بشكل عام والمسلم بشكل خاص أن يحافظ عليها.

٢- دعا الإسلام الى النظافة للحفاظ على الأرض والماء والهواء نقياً صافياً.

٣- يجب عدم الإستخدام الجائر للموارد البيئية التي سخرها الله لمخلوقاته.

٤- ان المحافظة واصلاح البيئة لن يتحقق الا إذا هذب واحترم الإنسان نفسة ، لذا لابدّ من تنمية الوعي البيئي بتوعية الجماهير بصورة عامة، من خلال المؤسسات الثقافية ومنابر الوعظ والإرشاد.

٥- زرع فكرة العناية بالبيئة والمحافظة عليها لدى كل الناس من الصغير مروراً بكل الفئات العمرية من خلال المناهج الدراسية، ويجب أن نكثف كل الجهود بدءاً من الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني للقيام بدورها التوجيهي والتربوي.

٦- إتباع طريقة متطورة لتبادل المعلومات بين الدول والمنظمات الدولية الحكومية منها وغيرالحكومية، فيما يخص المشاكل البيئية تكون سريعة ودقيقة، وذلك للإخذ بها واستخدامها في مواجهة أي خطر يهدد البيئة.

الهوامش :

١- سورة محمد : ٢٢

٢- سورة الأعراف: ٣١

٣- سورة الروم : ٤١

٤- البيئة في الاسلام :٨

٥- فتح الباري في شرح صحيح البخاري:٨/٥٩٣٥

٦- صحيح البخاري: ٦/١٤٥ رقم ٥٦٢٤

٧- لسان العرب: مادة (ب. و. أ)

٨- سورة يوسف: ٥٦

٩- مقالة ماهية البيئة، الدكتورأسامة عبد العزيز، شبكة الأنترنت.

١٠- المرجع السابق، نفس الموقع.

١١- محاضرة لمحمد الطرشان في الملحقية الثقافية الإيرانية بدمشق ٢٠٠٨، شبكة الأنترنت

١٢- الوجيز في قانون البيئة، الدكتورعبد المجيد السملالي: ص ٢٩

١٣- المصدر السابق: ص٣٠

١٤- القواعد الدولية لحماية البيئة، حياة زلماط، مقالة شبكة الأنترنت.

١٥- مختار الصحاح، الجوهري، حرف اللام

١٦- لسان العرب، إبن منظور: ١٣/ حرف اللام

١٧- سورة الأنبياء : ٣٠

١٨- سورة النحل : ١٤

١٩- لسان العرب: ١/ حرف الألف

٢٠- سورة قريش: ٤

٢١- التعريفات، الجرجاني: ص٣٧

٢٢- سنن الترمذي: ٢/ ٢٧٤، رقم ١٩١٣

٢٣- سورة يوسف: ٤٧

٢٤- فتح الباري: ١٢/١١، شرح النووي على صحيح مسلم: ١٠٢/١٤

٢٥- صحيح البخاري : ٦٢/٩، الكافي : ٩/٦٠٦/٢

٢٦- سورة العصر: ٣

٢٧- صحيح البخاري: ٣/ ١٣٩، رقم ٢٤٩٣

٢٨- سورة المائدة: ٢

٢٩- إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٤٩

٣٠- نهج البلاغة: كتاب ٣١

٣١- المصدرالسابق

٣٢- صحيح مسلم: ٨٩/٢، حديث رقم ١٤٧

٣٣- سورة الأعراف: ٨٥

٣٤- سورة البقرة : ٦٠

٣٥- سورة البقرة: ٦٠

٣٦- سورة الأعراف: ٥٦

٣٧- مجلة نهج الإسلام، العدد(٦٣) ١٩٩٦، ص١٦٠

٣٨- رعاية البيئة في الإسلام ، يوسف القرضاوي: ص٥٤

٣٩- صحيح البخاري: ٤/ ٩١، حديث رقم ٢١٥٢

٤١- سنن البيهقي : ٣/ ١٦٣، حديث رقم ٤٨٦٠

٤٢- مسند أحمد : ٣/ ١٨٣، حديث رقم ١٢٩٢٥

٤٣- صحيح مسلم : ١/ ١٤٠، حديث رقم ٥٥٦

٤٤- صحيح البخاري : ١/ ٩٤، حديث رقم ٢٣٦

٤٥- المعجم الكبير، الطبراني : ٢٠/ ٢١٦، حديث رقم ٥٠٢، الكافي: ٥/ ٢٨

٤٦- هو أبويوسف يعقوب بن اسحاق الكندي، ولد في الكوفة عام ١٨٥هج، وتوفي ببغداد ٢٥٦هج، مسلم برع في الفلك والفلسفة والطب والرياضيات، لقب أبو الفلسفة العربية أوفيلسوف العرب، كتب ما لايقل عن مائتين وستين كتابا.

٤٧- علي الحسين بن عبدالله بن سينا، إشتهر بالطب والفلسفة، ولد في بخارى(أوزبكستان حاليا) عام ٣٧٠هج، وتوفي في همدان في ايران ٤٢٧هج، عُرف باسم الشيخ الرئيس، سمّاه الغربيون أبوالطب الحديث، ألّف ٢٠ كتابا في مواضيع مختلفة، أشهر كتبه (الفانون في الطب) الذي دُرّس في جامعات أوروبا.

٤٨- محمد بن يحيى بن زكريا الرازي، ولد عام ٢٥٠هج، وتوفي عام ٣١١هج، عالم وطبيب فارسي، إعتُبر أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق، له أكثرمن ٢٠٠ كتاب ومقال في مختلف جوانب العلوم، له كتاب (الحاوي في الطب) ظل مرجعا للطب في اوربا لمدة ٤٠٠ عام.

٤٩- عبدالملك بن زهر، ويعرف بابن زهرالإشبيلي، ولد غي إشبيليا عام ٤٦٤هج، وتوفي ٥٥٧هج، طبيب مسلم معروف في الأندلس، ينحدرمن عائلة عريقة في الطب، من مؤلفاته المترجمة الى اللاتينية (التيسير في المداواة والتدبير).

٥٠- موفق الدين مطران، ولد في دمشق، وكان أبوه طبيبا متقدما جوالاً في البلاد لطلب الفضيلة، كان موفق الدين سيد الحكماء وأوحد العلماء في عصره، له كتاب(بستان الأطباء وروضة الألباء) جمع فيه نوادر وتعريفات مستحسنة مما طالعه أونسخه من الشيوخ أوالكتب الطبية، توفي عام ٥٨٧هج.

٥١- المجلة العالمية الخيرية، العدد ٢٠٨، السنة ٩، آب ٢٠٠٧م ،مقال :الإنسان والبيئة والتنمية، أحمد باشا،

٥٢- محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ولد في دمشق ٦٩١هج، من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري وصاحب مؤلفات عديدة بلغت حوالي ٩٨ مؤلفاً، أشهرها زاد المعاد وأعلام الموقعين، توفي عام ٧٥١هج.

٥٣- الطب النبوي: ص٤٠

٥٤- محمد بن أحمد بن تميم المغربي، ولد عام ٢٥١هج، مؤرخ وحافظ للحديث، كتب بيده أكثرمن ٣٠٠٠ كتابا، توفي عام ٣٣٣هج.

٥٥- أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، أحمد فؤاد باشا: ص٢١٨

٥٦- سورة البقرة : ١٢٥

٥٧- سورة آل عمران : ٩٦

٥٨- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، العيني: ج٢، حديث رقم: ٦٩٨١

٥٩- سورة المائدة : ٩٧

٦٠- سورة المائدة : ٩٥

٦١- سورة المائدة : ٩٦

٦٢- وسائل الشيعة : ١/ ٢٢٩

٦٣- المصدر السابق

٦٤- سنن البيهقي: ١٤٠/٦

٦٥- سورة البقرة : ٢٢٢

٦٦- مستدرك الحاكم : ٣/ ٤٦٥

٦٧- صحيح البخاري: ٤١٢/١، حديث رقم ٢٣٩، صحيح مسلم:١٣٥/١، حديث رقم ٢٨٢

٦٨- سورة الأعراف : ٣١

٦٩- سورة الإسراء : ٢٧

٧٠- سورة الرعد : ١١

٧١- الكافي، الكليني : ١١٩/٢، حديث رقم ٦

٧٢- شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد :٦/ ٢٢٩، فتح الباري: ١٠/ ٤٤٩

٧٣- سورة الفرقان : ٦٧

٧٤- سورة التوبة : ٧١

٧٥- رعاية البيئة في الإسلام ، القرضاوي: ص٢٤

٧٦- البيئة في الإسلام، محمود العادلي: ص٢

٧٧- سورة الحديد : ٢٥

٧٨- قاعدة لاضرر، السيد علي السيستاني: ص٢٤

٧٩- قاعدة لاضرر، السيد الخميني: ص٣٤

٨٠- مقاصد الشريعة، الطاهربن عاشور: ص٢٧٨

٨١- نضد القواعد الفقهية، المقداد السيوري: ص١٤٣

٨٢- محاضرات في أصول الفقه، محمد اسحاق الفياض: ٢٤٣/٤

٨٣- قاعدة لاضرر، السيد السيستاني:١٥٨/١، الأشباه والنظائر، السيوطي: ص٩٢، القواعد الفقهية، ناصرمكارم الشيرازي:١٩/٢

٨٤- سورة فاطر: ٦

٨٥- سنن إبن ماجة :٣٥٩/٢، حديث رقم ٤١٦٩، سنن الترمذي: ٥/ ٥١، حديث رقم ٣٦٨٧

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم

٢- الأشباه والنظائر،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت٩١١)، الناشردارالكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١١

٣- إحياء علوم الدين،أبوحامد محمد بن محمد الغزالي(ت٥٠٥)، دارالمعرفة بيروت.

٤- البيئة في الاسلام ، حسين الخشن ، ط١ بيروت ٢٠١٤

٥- الإسلام والبيئة، محمد مرسي، طبعة جامعة نايف، ١٩٩٩

٦- أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، أحمد فؤاد باشا، دارالهداية القاهرة،١٩٩٧

٧- التعريفات، الجرجاني علي بن محمد الزين(ت٨١٦)، دارالكتب العلمية بيروت،ط١، ١٩٨٣

٨- سنن البيهقي، أحمد بن الحسين البهقي(ت٤٥٨)، تحقيق محمد عبدالقادرعطا، دارالكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٣

٩- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(ت٢٧٩)، تحقيق بشارعواد معروف، نشردارالغرب الإسلامي بيروت، ط١، ١٩٨١

١٠- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دارإحياء الكتب العربية بيروت، ١٩٨٨

١١- شرح نهج البلاغة، عزالدين عبدالحميد المعتزلي(ت٦٥٦)، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دارالكتاب العربي بيروت، ٢٠٠٤

١٢- صحيح البخاري،محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦)، تحقيق محمد زهيرناصر، دارطوق النجاة، ط١، ١٩٨١

١٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيشابوري(ت٢٦١)، ط دارطيبة ، ٢٠٠٦

١٤- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني(ت٨٥٥)، تحقيق عبدالله محمود، دارالكتب العلمية بيروت، ٢٠٠١

١٥- القواعد الفقهية، ناصرمكارم الشيرازي، طبعة مؤسسة أميرالمؤمنين، قم ، ط٣.
١٦- القواعد الدولية لحماية البيئة، حياة زلماط، مقالة، شبكة الأنترنت.
١٧- قاعدة لاضررولا ضرار، السيد علي السيستاني، طبعة قم
١٨- قاعدة لا ضرر ولا ضرار، السيد روح الله الخميني،(ت١٤١٠)، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشرآثارالإمام الخميني، قم، ط٢/٩١
١٩- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني،(ت٣٢٩)، تحقيق علي أكبرغفاري، دارالكتب الإسلامية طهران، ١٩٨٤
٢٠- لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور الأنصاري(ت٧١١)، نشردارصادر بيروت، ط٣، ١٩٩٤
٢١- ماهية البيئة، الدكتورأسامة عبد العزيز، مقالة على شبكة الأنترنت
٢٢- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكرالرازي(ت٦٦٠)، المكتبة العصرية بيروت،ط٥، ١٩٩٩
٢٣- مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهربن عاشور،(ت١٣٩٣)، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، نشروزارة الأوقاف قطر، ٢٠٠٤
٢٤- محاضرات في أصول الفقه، محمد اسحاق الفياض، النجف ١٩٧٤
٢٥- المعجم الكبير،سليمان بن أحمد الشامي الطبراني(ت٣٦٠)، تحقيق حمدي عبدالمجيد، القاهرة، ط٢
٢٦- نضد القواعد الفقهية، المقداد بن عبدالله السيوري(ت٨٢٦)، نشر مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٩٨١
٢٧- نهج الإسلام، مجلة، وزارة الأوقاف السورية.
٢٨- وسائل الشيعة لتحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن العاملي(ت١١٠٤)، تحقيق عبد الرحيم الرباني، ط٥، ١٩٨٣.